هناك اي وقت ، اي مكان ، لتكون لي طفولة . في البيت ابي يعلق صورة لعبد الناصر على الحائط ، مستعملا مسمارا محنيا ومنفضة رماد السجائر ليدقه . اي شيء آخر كان له ان يفعل ؟ وعلى مائدة العشاء يراقب الجميع فيما تمديدك لتتناول السكر او الخبز او الفاصوليا ، مستعدين ليصرخوا : « هاي ، اترك شيئا للآخرين » . الجميع يقولون ذلك لأختي الصغرى . فهناك النذر القليل من كل شيء . تأخذ اكثر من ملعقة سكر فيتصدى لك الجميع . يصرخون : « هاي ، اترك شيئا للآخرين . لسنا من الملاكين » .

انمو بكثير من السخرية في سنوات مراهقتي الباكرة . فأشتم العالم وملائكته وتمتمات ابي المشوشة . والعالم كله خارج المخيم الذي يفس عن عداءاته علينا او يقف مديرا ظهره الينا .

في شوارع مدن العالم الثالث لا تتعلم ان تكون عنيفا فحسب ، بل تتعلم ان تكون سياسيا . اضحك ضحكة نصف مكبوتة من صورة عبد الناصر على الحائط . فالرئيس المصري يبتسم بعذوبة على شقائنا في بيوتنا الطينية لمخيمات اللاجئين . صورة ممزقة موحشة على الحائط ، لرئيس جمهورية عربي يعد ابي بالخلاص ، وقد وثق به ابي لانه لم يكن له مكان آخر يتحول اليه . واحاول ان افهم ثقة ابي بعبد الناصر فاجد في ذلك صعوبة . ففي سن الثالثة عشرة ثمة حقد ساخر عميق في قلبي للزعماء العرب وللنظام الاجتماعي في عالمنا . واذا كنت ساصير فيما بعد ماركسيا ، فان ذلك ببساطة لأن اللغة الماركسية ، والحقائق التي تحدث عنها ماركس ، ثارت حولي في الشوارع كأنها جزء من العناصر . كنت اعرف كل شيء عن ماركس قبل ان اقرأ اي شيء له بزمن طويل . **الصراع الطبقي** ؟ كان هذا حقيقة يومية ملموسة في حياتي ما كان علي الا ان انظر الى جميع الشيوخ والسلاطين والامراء (او مهما كانت الالقاب الجديرة بالازدراء التي يحملونها) الذين يقودون سياراتهم الكاديلاك في بيروت ، ويشربون ويقامرون حتى البله في اندية بيروت الليلية فيما اكثرية الاولاد والبالغين في المدينة يجوعون . **البورجوازية** ؟ هذه لم تكن شيئا تجريديا في كتاب مدرسي ، أو شعارا كنت اصرخ به وانا العب لعبة السياسة اليسارية الجامعية . فحيث ترعرعت كان هذا شيئا اصطدمت به ولمسته ورأيته . ما كان علي الا ان اذهب الى شارع الحمراء ، وهو ما فعلته في سنتي الاولى من بيع العلكة ، وكنت اراهم يجلسون في الانكل سام والكوينز والهورس شو ، يتكلمون الفرنسية او الانكليزية مع بعضهم البعض . بالنسبة اليهم كنا « TRES SAUVAGE , COMPLETEMENT SAUVAGES! » وفيما يتعلق بالزعماء العرب ، في الخمسينات ، بادعاءاتهم الزائفة حول فلسطين ، لم استطع ان اوفق ما كنت اسمعه منهم مع ما كنا جميعا نتحمله كفلسطينيين في دولنا المضيفة . لم استطع ان اوفقه جميعا مع السؤال : لماذا قبل ان ابلغ سنا اكتسب فيه تاريخا سياسيا ممكنا ادراكه ، او ماضيا معقولا ما ، كنت قد جمعت كاتالوغا كاملا من المخاوف والرعب حول فلسطينيتي فيما اخذت احددها استجابة لتفاعلي مع العالم العربي .

وسألت ابي بوقاحة : « اية حاجة بنا الى صورة لعبد الناصر هنا ؟ »

وتقول والدتي : « انتبه لما تقول » .